أوضاع البلاد سياسيًّا
قبيل بداية حكم الملك عبدالعزيز

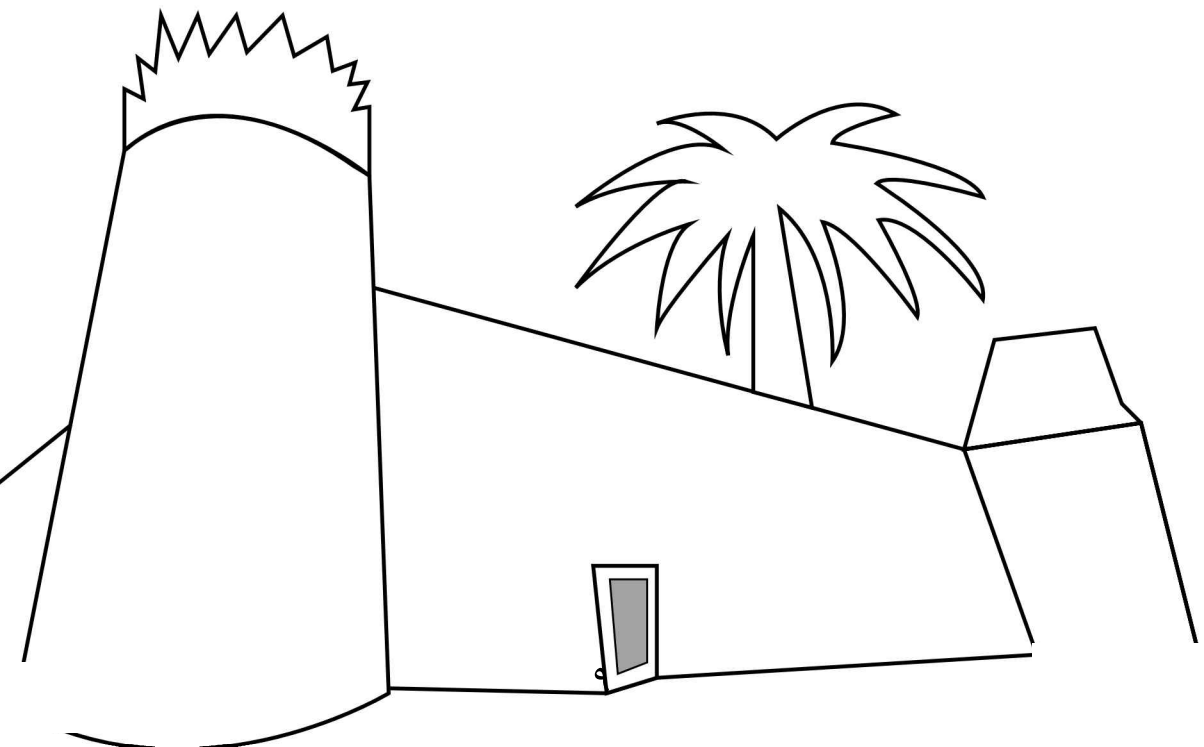

١ - الحجاز:

كانت الحجاز دائمًا مركز اهتمام الحكام العثمانيين في جزيرة العرب. وكانت بداية انتصارات قادة الدولة السعودية الأولى على الشريف غالب، التابع لأولئك الحكام رسميًّا، سنة ١٢١٠هـ من أهمِّ الأسباب التي دفعتهم إلى تجهيز حملتين عسكريتين من العراق ضد تلك الدولة سنتي ١٢١١هـ و١٢١٣هـ. لكن هاتين الحملتين فشلتا في تحقيق أغراضهما[١]. ولما دخلت الحجاز تحت حكم الدولة السعودية ازداد تصميم الحكام العثمانيين على حرب هذه الدولة. وقد كَلَّفوا والي مصر، محمد علي باشا، بانتزاع الحجاز من السعوديين وتحطيم دولتهم. وبعد أن نجح ذلك الوالي في مَهمَّته، أصبحت الحجاز مركز قوته في الجزيرة العربية، ومنطلق تَحرُّكه إلى مناطقها المختلفة.

وكان محمد علي قد رأى في نكث الشريف غالب بعهوده للقادة السعوديين دليلًا على أنه يشبهه في بعض الصفات الكيدية، وأدرك أن ما كان لدى ذلك الشريف من أتباع وعتاد وأموال يمكن أن يُشجِّعه على تغيير موقفه المؤيِّد لهذا الوالي، متى رأى ذلك مناسبًا له. ولهذا كان من الإجراءات الأولى التي قام بها محمد علي، بعد وصوله إلى مكة سنة ١٢٢٨هـ، أن أخذ جميع الاحتياطات لحماية نفسه، ثم احتال بالشريف غالب، واعتقله، ثم أرسله إلى مصر. وبعد ذلك بعث به إلى سالونيك، حيث توفي عام ١٢٣١هـ[٢].

ولما أبعد محمد علي الشريف غالبًا عن حكم الحجاز عَيَّن بدلًا منه ابن أخيه يحيى بن سرور، لكنه سلبه كثيرًا مما كان يَتمتَّع به الشريف، عادة، من سلطات.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الجزء الأول من **تاريخ المملكة العربية السعودية**، لكاتب هذه السطور، ط٥، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ص ١٥٦ - ١٦٠.

(٢) بوركهارت، **مواد لتاريخ الوهابيين**، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص ص ١٣٣ - ١٣٧؛ أحمد بن زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ج٢، ص ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

ومن ذلك أنه وكل أمور القبائل في المنطقة إلى الشريف شنبر بن مبارك[١]. وبعد عودة إبراهيم بن محمد علي من جزيرة العرب إلى القاهرة، عام ١٢٣٤هـ، عَيَّن أبوه ابن أخته، أحمد باشا يكن، محافظًا لمكة، وحاكمًا عامًّا للحجاز، وقائدًا للجيوش في الجزيرة العربية[٢]. فأصبح الحاكم الحقيقي للبلاد. وبذلك ازدادت سلطة شريف مكة ضعفًا.

وكان من نتائج إسناد بعض سلطات الشريف يحيى بن سرور إلى الشريف شنبر بن مبارك أن تَوتَّرت العلاقات بينهما. وقد أَدَّى ذلك إلى انقسام القبائل الحجازية بين مُؤيِّد لهذا ومُؤيِّد لذاك. ويبدو أن الشريف يحيى قد أدرك أن الحاكم العام للحجاز يميل إلى منافسه الشريف شنبر. ومن ثَمَّ هجم على هذا الشريف، وقتله، سنة ١٢٤٢هـ[٣]. لكنه لم يستمر في منصبه بعد ذلك؛ إذ أجبره أحمد باشا يكن على التوجه إلى مصر. على أن يحيى استطاع الهرب إلى البادية، وهو في طريقه إلى هناك، وتَمكَّن من التحالف مع قبيلة حَرْب[٤]. وأمام هذا الوضع رأى أحمد باشا يكن أن من الضروري الإسراع في تعيين أحد الأشراف شريفًا لمكة ليساعده في السيطرة على الموقف. فَعيَّن عبدالمطلب بن غالب لذلك المنصب[٥]. لكن محمد علي لم يوافق على هذا التعيين. بل اختار محمد بن عون، الذي ينتمي إلى فرع آخر من أسرة الأشراف هو فرع ذوي عون[٦]. فرمى عبدالمطلب بثقله مع يحيى بن سرور، وحاصر الشريفان مكة، لكنهما صُدَّا عنها، وقُبِض على

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ج٢، ص٣٠٠.

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية**..، القاهرة، ١٩٨١م، ص٣٦.

(٣) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**..، ط٣، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص١٤٧.

(٤) دحلان، ج٢، ص٣٠٤.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٥.

يحيى، فَنُفي إلى مصر. أما عبدالمطلب فاتَّجه إلى علي بن مجثّل قائد مقاومة عسير حينذاك؛ محاولًا أن يضع يده بيده[1].

واستمر الشريف محمد بن عون في الحكم، وفي نفسه ما فيها من طموح لا يتَّفق مع رغبات حاكم الحجاز العام وأهوائه. وفي عام ١٢٤٩هـ قاد حملة كبيرة لمحاربة ثورة عسير تاركًا أمور مكة لمحافظها أحمد باشا يكن. وظَلَّ هناك نحو سنتين. لكنه فشل في مَهمَّته، فعاد إلى مكة. وبدأ كلٌّ من الشريف والمحافظ يُحمِّل الآخر مسؤولية فشل الحملة. فاستدعاهما محمد علي إلى القاهرة سنة ١٢٥٢هـ، وأبقى محمد بن عون لديه نحو أربع سنوات، كانت مكة خلالها تُحكَم بدون شريف. ثم أعيد محمد بن عون إلى الشرافة في الظروف التي صاحبت حلول النفوذ العثماني مَحلَّ نفوذ محمد علي في الحجاز[2].

ولقد قام محمد بن عون بجهود كبيرة في محاولة العثمانيين القضاء على الثورة العسيرية، ومحاولتهم الاستيلاء على اليمن. ويبدو أن ازدياد نفوذه؛ خاصة بين القبائل الحجازية، كان من أَهمِّ الأسباب التي أدَّت إلى قبض العثمانيين عليه وإرساله إلى اسطنبول سنة ١٢٦٧هـ[3]. وقد عَيَّنوا بدلًا منه عبدالمطلب بن غالب، الذي ما لبث أن اختلف مع ولاة العثمانيين على الحجاز، حتى تبلور خلافه معهم في انضمامه إلى زعماء البلاد، الذين ثاروا ضد قانون منع الرق.

ونتيجة لذلك أعيد محمد بن عون إلى شرافة مكة سنة ١٢٧١هـ. وظَلَّ في منصبه حتى وفاته بعد ذلك بثلاث سنين[4].

---

(١) عبدالرحيم، ١١٩.

(٢) انظر تفصيل ما سبق في كتابات دحلان، ج٢، ص ص ٣٠٤- ٣١٠؛ السباعي، ج٢، ص ص ١٤٧- ١٥٣؛ صالح العمرو، رسالة دكتوراه ترجمة عنوانها: **الحجاز تحت الحكم العثماني** ١٨٦٩- ١٩١٤م، نشرتها جامعة الملك سعود، ١٩٧٨م، ص ص ٥٢- ٥٣.

(٣) دحلان، ج٢، ص٣١٥؛ السباعي، ج٢، ص١٥٩.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج٢، ص ص ١٦١- ١٦٣؛ إسماعيل حقي، **أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني**، تعريب خليل مراد، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥م، ص١٧٧.

وبعد وفاة محمد بن عون تَولَّى شرافة مكة ابنه عبدالله حتى وفاته عام ١٢٩٤هـ. ثم حَلَّ مَحلَّه فيها أخوه الحسين، الذي اغتيل في جدة سنة ١٢٩٧هـ. فأعيد عبدالمطلب بن غالب إلى الشرافة، وبقي فيها حتى وفاته عام ١٢٩٩هـ. وخلفه في منصبه الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون، الذي ظَلَّ في منصبه حتى وفاته عام ١٣٢٣هـ. وقد تَمَّت في عهده إصلاحات كثيرة في مكة[١]. ولما توفي خلفه ابن أخيه، علي بن عبدالله، حتى عُزِل سنة ١٣٢٦هـ. وفي تلك السنة عُيِّن الحسين بن علي بن محمد بن عون شريفًا لمكة[٢]. وكان ذلك الشريف هو الذي قاد- بالتعاون مع بريطانيا- ما عُرِف في تاريخ العرب الحديث بالثورة العربية ضد العثمانيين، وهو الذي أَدَّى خلافه مع الملك عبدالعزيز آل سعود إلى نهاية حكم الأشراف للحجاز، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

٢- عسير:

كان زعماء منطقة عسير وأهاليها من المُتحمِّسين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، التي قام بمناصرتها قادة آل سعود. وكانت مقاومتهم لقوات محمد علي، حاكم مصر العثماني -قبل قضائه على الدولة السعودية الأولى- مقاومة باسلة. ومع أن تلك القوات تَمكَّنت من بسط نفوذها على المنطقة في تلك الفترة، إلا أن العسيريين لم يَتوقَّفوا عن المقاومة. بل إن كفاحهم ظَلَّ مستمرًّا تقريبًا طوال وجود تلك القوات في بلادهم[٣].

---

(١) انظر تفصيل ذلك لدى دحلان، ج٢، ص ص ٣٢١- ٣٢٩؛ السباعي، ج٢، ص ص ١٦٥- ١٧٦.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج٢، ص ص ١٧٧- ١٨٥؛ العمرو، ص ص ١٢٥- ١٣٤؛ طالب محمد وهيم، **مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥م: دراسة في الأوضاع السياسية**، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢م، ص ص ٣٤- ٣٧؛ حقي، ص ص ١٨٢- ١٨٦.

(٣) من الدراسات التي تناولت مقاومة أهل عسير لقوات محمد علي رسالة عبدالحميد البطريق التي نال بها الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٧م؛ وترجمة عنوانها: **الحكم التركي المصري لجزيرة العرب** ١٨١٠- ١٨٤٠م، ورسالة محمد آل زلفة التي نال بها الماجستير من جامعة كانساس الأمريكية عام ١٩٧٩م؛ وترجمة عنوانها: **دعوة ابن عبدالوهاب وأثرها على مقاومة عسير للحكم التركي المصري ١٨١١- ١٨٤٠م.**

وكان ممن تَزعَّم مقاومة العسيريين بعد نهاية الدولة السعودية الأولى سعيد بن مُسلَّط المتوفى سنة ١٢٤٢هـ[١]. ثم تَزعَّمها ابن عَمَّه- أخوه لأُمِّه- علي بن مجثّل، الذي انتصر على قوات كُلٍّ من محمد علي وأشراف المخلاف السليماني، ومدَّ نفوذه حتى استولى على المُخَا[٢]، واتَّخذ من الحُدَيدة مركزًا لقواته هناك[٣].

وبعد وفاة علي بن مجثّل، سنة ١٢٤٩هـ[٤]، تَولَّى زعامة عسير عائض بن مرعي، الذي حَقَّق انتصارات على قوات محمد علي، ثم قوات الدولة العثمانية، فوسَّع نفوذ إمارة منطقته، وثَبَّت الأمن في ربوعها. وقد توفي عام ١٢٧٣هـ[٥].

ثم تَسلَّم مقاليد الأمور في عسير، بعد وفاة عائض بن مرعي، ابنه محمد الذي قَرَّر إخراج قوات العثمانيين من البلاد الساحلية. فَجهَّز جيشًا، واتَّجه به لمحاربتهم حتى أخرجهم من صبيا. ثم واصل زحفه حتى حاصر الحُدَيدة. لكنه فشل في المعركة الموجهة ضدها. فانسحب من الساحل اليمني[٦]. وكانت الدولة العثمانية حينذاك قد استعادت شيئًا من قُوَّتها، فَصمَّمت على إدخال منطقة

---

(١) قاد المقاومة بنجاح من سنة ١٢٣٨هـ حتى وفاته. انظر عنه ما كتبه هاشم النعمي في **تاريخ عسير في الماضي والحاضر**، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها، ص ص ١٧١- ١٧٥؛ عبدالله بن مسفر، **أخبار عسير**، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص ص ٨٦- ٨٨؛ آل زلفة، ص ص ١١٨- ١٢٢.

(٢) عثمان بن عبدالله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية، ١٣٩١هـ، ج٢، ص٥٩.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، ط٢، دار اليمامة في الرياض، ١٤٠٢هـ، ج١، ص ص ٥٣٥- ٥٣٦.

(٤) النعمي، ص١٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٦) العقيلي، ج١، ص٥٤٧.

عسير تحت سيطرتها. وبعثت إليها قوات كبيرة بقيادة الفريق رديف باشا وأحمد مختار باشا.

وتَقدَّمت تلك القوات إلى عسير من جهات مُتعدِّدة، فتَوغَّلت في المنطقة حتى أحكمت الحصار على الأمير محمد بن عائض في أبها. فَتوسَّط شريف مكة، عبدالله بن عون، بين ذلك الأمير والدولة العثمانية، وتُوصِّل إلى اتِّفاق يستسلم بموجبه الأمير محمد مقابل احتفاظه بممتلكاته الخاصة من أموال وحصون، وأن تُصَرف له ولعائلته مُرتَّبات شهرية[١]. على أن النهاية لم تكن كما أُمِّل أن تكون. فقد قام رديف باشا بقتل الأمير محمد وأخويه سعد وعبدالله وعدد من كبار أنصارهم؛ وذلك سنة ١٢٨٩هـ[٢].

ونتيجة لما سبق استطاع العثمانيون إدخال منطقة عسير تحت سيطرتهم، وأصبحت مُتصرِّفية مركزها أبها، ويتبعها ستة مراكز[٣]. على أن تلك السيطرة لم تكن مستمرة بدون ظهور حركات مَحلِّية من وقت إلى آخر. وكان ممن اشتهر بقيادة بعض تلك الحركات علي بن محمد بن عائض، الذي حَقَّق انتصارات على قوات القائد العثماني في المنطقة، وحاصره في أبها ذاتها. لكنه فشل في مسعاه آخر الأمر[٤]. ومما تجدر الإشارة إليه قيام علاقة جَيِّدة بين ابنه حسن والعثمانيين، فكان أن عَيَّنوه معاونًا للمُتصرِّف في عسير[٥]. ولما اضطروا إلى سحب قواتهم من جزيرة العرب نتيجة الحرب العالمية الأولى استقلَّ الأمير حسن بن عائض

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص٣٥٥.

(٢) أشار المصدر نفسه، الصفحة ذاتها، إلى قتل رديف باشا للأمير ابن عائش. وذكر قتله لأخويه وأنصارهم في تلك السنة النعمي، ص٢١٦.

(٣) حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٥٥.

(٤) النعمي، ص٢٢١.

(٥) حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٥٥.

بعسير[1]. ثم وقع خلاف بينه وبين بعض زعماء القبائل. وتَطوَّر الخلاف، فحاول الملك عبدالعزيز أن يصلح بين الطرفين. لكن ذلك الأمير لم يقبل وساطته، فَتوتَّرت العلاقات بينهما. وكانت النتيجة أن هاجمت قوات الملك عبدالعزيز الأمير ابن عائض، وتَمكَّنت من إدخال منطقة عسير تحت الحكم السعودي، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

٣- المخلاف السليماني (جازان):

لم يكن موقف الشريف حمود بن محمد - ولقبه أبو مسمار - من الدولة السعودية الأولى موقفًا وُدِّيًا؛ خاصة في بداية الأمر. وكانت علاقته بزعيمي منطقة عسير، عبدالوعاب أبي نقطة وطامي بن شُعَيِّب، علاقة سيئة[2]. ولما تَوغَّلت قوات محمد علي باشا في عسير اضطر طامي بن شُعَيِّب إلى التَّوجه إلى المخلاف السليماني أملًا في النجاة من قبضة القوات الغازية. لكن الحسن بن خالد، وزير الشريف حمود، قبض عليه، وسَلَّمه إلى قائد تلك القوات[3]. ومن المحتمل أن تَصرُّف الوزير حسن كان مبعثه إظهار المودَّة لمحمد علي لعلَّه يتفادى غزوه لبلاده، أو كان سببه كرهه للزعيم العسيري، أو للأمرين معًا. وقد حاول محمد بن أحمد المتحمي أن يثأر لما حدث لقريبه طامي بمهاجمة المخلاف، لكن زعيم هذا الإقليم صَدَّه بنجاح[4].

وعندما اشتدت هجمات قوات محمد علي باشا ضد العسيريين رأى زعماؤهم أن يغروا الشريف حمود بن محمد بالتحالف معهم[5]. ويبدو أن هدفهم

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٥٦.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب، ط٥، ص ص ١٣٩ - ١٤٤.

(٣) أُخذ إلى مصر وقُتِل هناك. ابن بشر، ج١، ص ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤) العَقيلي، ج١، ص٤٧٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٥.

من ذلك كان التَّقوِّي به من ناحية، وضمان عدم وقوفه مع خصومهم من ناحية أخرى. ومن الواضح أن هذا صادف هوى في نفسه لأنه هو، أيضًا، سَيتقوَّى بهم ضد خصومه، ولأن التحالف قد يُؤدِّي إلى مَدِّ نفوذه إلى بعض الجهات التابعة لهم.

ولقد أرسل محمد علي باشا حملة جديدة إلى جنوبي عسير، ومعها الشريفان علي بن حيدر ومنصور بن ناصر، فهزمتها قوات الشريف حمود، وتولَّى الزعماء العسيريون القضاء عليها. على أن هذا الشريف توفي بعد المعركة بأيام قليلة؛ وذلك سنة ١٢٣٣هـ[١].

وبعد وفاة الشريف حمود تَولَّى الحكم بعده ابنه أحمد. فاتَّجهت إلى بلاده حملة أخرى مرسلة من حاكم مصر، محمد علي باشا، ومعها الشريف علي بن حيدر. وقد تَمكَّن قائد الحملة من القبض على أحمد ابن حمود في أبي عريش. وتَولَّى الحكم هناك علي بن حيدر تابعًا لمحمد علي[٢].

ولما حَقَّق الزعيم علي بن مجثِّل كثيرًا من النجاح في منطقة عسير تَوجَّه سنة ١٢٤٨هـ، إلى المخلاف السليماني، واستطاع إجلاء قوات محمد علي عن البلاد. ثم حاصر بلدة أبي عريش، لكنه تَوصَّل مع ابن حيدر إلى صلح اعترف بموجبه هذا الأخير بسيادة ابن مجثِّل على صبيا[٣]. ولما توفي ذلك الزعيم العسيري، سنة ١٢٤٩هـ، جمع علي ابن حيدر أنصاره، واستعاد صبيا. فتوجه عائض بن مرعي، الذي تَولَّى مقاليد زعامة عسير بعد ابن مجثِّل، بقوات إلى أبي عريش. لكنه علم، عند اقترابه منها، أن حملة كبيرة وصلت من الحجاز إلى

---

(١) الحسن بن عاكش، **تكملة نفح العمود في سيرة دولة الشريف حمود**، طبع مع نفح العود...، تحقيق محمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ، ص٣٠٧.

(٢) العقيلي، ج١، ص ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٣) النعمي، ص ص ١٧٨؛ آل زلفة، ص١٢٨.

شمالي عسير، فترك المخلاف، وعاد إلى بلاده ليدرأ عنها الخطر الجديد[1]. وتَمكَّن زعماء المخلاف من الاستقلال عن عسير مُؤقَّتًا. على أن عائض ابن مرعي استطاع، فيما بعد، أن يبسط نفوذه على المخلاف مع بقاء إدارة أموره الداخلية في أيدي زعمائه من الأشراف. وبقي هذا الوضع سائدًا في عهد ابنه محمد. لكن انتصار العثمانيين عليه أَدَّى إلى استيلائهم على المناطق التابعة له، ومن بينها المخلاف السليماني. وظَلَّت السلطة الحقيقية هناك للعثمانيين حتى استقلال السيد الإدريسي عنهم[2].

وكان السيد أحمد بن إدريس صاحب طريقة صوفية. وقد انتقل من المغرب إلى مكة حيث أقام ثلاثين سنة. ثم تَوجَّه إلى تهامة لزيارة بعض تلاميذه ومريديه. فاستقر به المقام في صَبْيا سنة ١٢٤٦هـ، وأخذ ينشر طريقته في تلك البلاد حتى وفاته سنة ١٢٥٣هـ. وقد وُلِد حفيده، محمد بن علي، هناك سنة ١٢٩٣هـ. وتَعلَّم في مسقط رأسه. ثم سافر إلى القاهرة عن طريق مكة، والتحق بالأزهر حوالي ست سنوات. ثم انتقل إلى مركز السنوسية في ليبيا. وتَوجَّه من هناك إلى السودان التي كان يوجد فيها بعض أقاربه. وبعد ذلك عاد إلى صَبْيا، وبدأ نشاطه الديني السياسي[3].

ولقد ساعدت ظروف المخلاف السليماني محمد بن علي الإدريسي على النجاح فيما كان يهدف إليه. وكان والي عسير، سليمان شفيق كمال، يدرك خطورة حركته. فَحذَّر منها؛ خاصة بعد أن اتَّضحت صلته بإيطاليا. وأرسلت الدولة العثمانية إليه وفدًا مع جيش بقيادة سعيد باشا. فاستطاع خداع الوفد

(١) ابن سفر، ص٩٥، آل زلفة، ص١٤٢.

(٢) النعمي، ص ص ٢٠٨ و ٢٣٨.

(٣) خير الدين الزركلي، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، بيروت، ١٣٩٠هـ، ج٢، ص ص ٥٢٩ – ٥٣١؛ حمزة، **قلب جزيرة العرب**، ص ص ٣٥٦ – ٣٥٧.

مظهرًا أنه يعمل لمصلحة العثمانيين. فما كان من سعيد وسليمان إلا أن عيَّناه برتبة قائمقام. فازداد نفوذه، وقويت شوكته، وبسط حكمه على تهامة من شمال الحديدة حتى جنوب القنفذة، كما بسطه على بعض جبال السراة. ثم قلب ظهر المجن للعثمانيين، وأدخل تحت طاعته ما بين صبيا وأبها سنة ١٣٢٨هـ. وحاصر سليمان شفيق كمال في البلدة الأخيرة عشرة أشهر حتى أتت نجدة عثمانية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي، فاضطر إلى التراجع والاعتصام بجبل فَيْفاء. ثم عاد إلى صَبْيا[1].

وكانت الحرب قد بدأت بين الدولة العثمانية وإيطاليا سنة ١٣٢٩هـ. فاتَّصل الإدريسي بالإيطاليين، وأَمدُّوه بالذخيرة، ثم عقد معاهدة مع بريطانيا سنة ١٣٣٣هـ جُدِّدت بعد سنتين من ذلك التاريخ. وقد اعترفت تلك الدولة بسيادته على تهامة من اللُّحَيَّة جنوبًا إلى القُنْفذة شمالًا، وتَعهَّدت بحمايته، كما تَعهَّد هو بَألَّا ينشئ علاقات مع أَيِّ حكومة أخرى إلا بموافقتها[2].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تنازلت بريطانيا للإدريسي عن الحُدَيدة، التي سبق أن احتلَّتها في أثناء تلك الحرب، فَضمَّها إلى دولته. على أن الأوضاع في كُلٍّ من اليمن والحجاز تَغيَّرت بعد ذلك. فأصبح بين نارين، واضطر إلى التحالف مع الملك عبدالعزيز آل سعود- سلطان نجد حينذاك- لتأمين مركزه؛ وذلك عام ١٣٣٩هـ. واستمر في حكم بلاده حتى وفاته سنة ١٣٤١هـ[3].

---

(١) الزركلي، ج٢، ص٥٣٤.

(٢) حمزة، **قلب جزيرة العرب**، ص٣٥٨؛ الزركلي، ج٢، ص٥٣٤.

(٣) حمزة، **قلب جزيرة العرب**، ص٣٥٩؛ الزركلي، ج٢، ص ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

٤- الأحساء والقطيف:

كانت السلطات العثمانية في العراق قد استغلَّت فرصة استنجاد الإمام عبدالله بن فيصل بها ضد أخيه سعود، فأرسلت حملة عسكرية تَمكَّنت من الاستيلاء على منطقة الأحساء والقطيف؛ وذلك عام ١٢٨٨هـ. وظَلَّت تلك المنطقة تحت حكم العثمانيين حتى انتزعها منهم الملك عبدالعزيز سنة ١٣٣١هـ. وقد تعاقب على حكمها خلال تلك الحقبة كثير من المُتصرِّفين؛ بعضهم من أصل عربي، وبعضهم من أصول غير عربية[١]. ولَعلَّ من أهم أسباب عزل عدد منهم واستبدال آخرين بهم عجزهم عن حَلِّ المشكلات الأمنية التي كانت تقوم في تلك المنطقة بكثرة. وكانت فئات من القبائل في طليعة من يثيرون تلك المشكلات لأسباب مختلفة. ومن هذه الأسباب قِلَّة ما تدفعه السلطات العثمانية في المنطقة من مُخصَّصات[٢]. ومنها ما كان بتحريض من بعض رجال تلك السلطات أنفسهم لدوافع شخصية[٣]. وكانت مهاجمة القوافل البَرِّية التجارية أكثر الأعمال المُخلِّة بالأمن التي تقوم بها تلك الفئات القبلية[٤]. لكنها لم تقتصر على ذلك؛ بل امتدت إلى مهاجمة السفن التجارية في سواحل الخليج[٥]. وكان هذا مما أوقع السلطات العثمانية في حرج مع جهات ذات مصالح خاصة في المنطقة؛

---

(١) ممن تولَّوا حكمها من العرب بزيع بن عريعر، وأحمد العمري الموصلي، والسيد طالب النقيب، انظر محمد آل عبدالقادر، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، الرياض، ١٣٧٩هـ، ج١، ص ص ١٨٠و١٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٦؛ محمد عرابي نخلة، **تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣م**، الكويت، ١٤٠٠هـ ص٢٠٣.

(٣) آل عبدالقادر، ج١، ص١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٦؛ نخلة، ص٢٠٢.

(٥) المصدر الأخير نفسه، ص٢٠١.

مثل الدولة البريطانية. ومن أعمال الفئات القبلية المُخلِّة بالأمن مهاجمة المزارع ونهب التمور من نخيلها[1].

وكان كثير ممن تَولَّوا حكم منطقة الأحساء والقطيف في الفترة المشار إليها غير مُوفَّقين في إدارتهم لشؤونها. ولما انتهج قادة حزب الاتِّحاد والترقِّي سياسة التتريك في الولايات التابعة للدولة العثمانية ازداد نفور حاضرة تلك المنطقة حِدَّة من الحكم التركي. واجتمع هذا مع اختلال الأمن فأصبح أولئك السكان يَتطلَّعون إلى التَّخلُّص مما هم فيه.

٥- نجد:

كانت العلاقات بين الإمام فيصل بن تركي وأميره على جبل شَمَّر، عبدالله بن علي بن رشيد، علاقة خاصة تختلف عن العلاقة بين ذلك الإمام وأمرائه الآخرين[2]. وقد استمرت العلاقة الطيِّبة بين القادة السعوديين وإمارة الجبل حتى بدأ الخلاف بين الطرفين في عهدي الإمام عبدالله بن فيصل والأمير محمد بن عبدالله بن رشيد. وتَطوَّر ذلك الخلاف إلى صراع كانت نتيجته أن تَغلَّب الأمير محمد على آخر أئمة الدولة السعودية الثانية، عبدالرحمن بن فيصل، وانتهت تلك الدولة على يديه سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.

وبعد أن بسط الأمير محمد بن رشيد حكمه على نجد أخذ يعامل السكان؛ خاصة الحاضرة، معاملة حسنة بصفة عامة. وساد البلدان النجدية أمن لا بأس به. على أن النزاع بين القبائل الرُّحّل ظَلَّ قائمًا. وربما كان ذلك غير مُهِمٍّ

---

(١) آل عبدالقادر، ج١، ص١٨٩.

(٢) عن تلك العلاقة يمكن الرجوع إلى كتاب نشأة إمارة آل رشيد، لكاتب هذه السطور، ط٢، الرياض، ١٤١١هـ، ص ص ٢١٩ - ٢٣١.

للأمير ما دامت تلك القبائل تعترف بسلطته، وتدفع إليه الزكاة، ولا تعتدي على قوافل الحج والتجارة المشمولة برعايته.

ولم يكن غريبًا أن يعترف الأمير محمد بن رشيد بتبعيته للدولة العثمانية، وأن يحاول دائمًا توطيد العلاقات الوُدِّية التي كانت سائدة بين تلك الدولة وسلفه من أسرته. ذلك أنه كانت له علاقات خاصة بالعراق العثمانية قبل تَولِّيه إمارة جبل شَمَّر؛ إذ كان أميرًا لقوافل الحج القادمة من تلك البلاد والعائدة إليها[1]. وكانت العراق موئلًا لكثير ممن غادر نجدًا من قبيلة شَمَّر لأسباب مُتعدِّدة، كما كانت أهم مصدر من مصادر الأطعمة لسكان الجبل عامة ولأمرائه خاصة[2]. وبالإضافة إلى ذلك كله فإن الدولة العثمانية كانت تسيطر على منطقة الحجاز ومنطقة الأحساء والقطيف. ومعلوم ما لسكان نجد، بصفة عامة، من مصالح مُهمَّة في هاتين المنطقتين. ثم إن الأمير محمد بن رشيد قد أصبح حاكم نجد بعد أن كانت تحكمها الأسرة السعودية التي يمكن أن يقال عن علاقتها بالدولة العثمانية عبر التاريخ: إنها علاقة غير وُدِّية؛ بل عدائية في كثير من الأوقات.

وظَلَّ حكم محمد بن رشيد يزداد رسوخًا حتى وفاته سنة ١٣١٥هـ[3]. وقد خلفه في الحكم ابن أخيه، عبدالعزيز بن متعب. وكان هذا الأمير من أعظم رجال زمنه في ميدان الفروسية والشجاعة. لكنه لم يكن يَتحلَّى بما كان يَتحلَّى به عَمُّه محمد من دهاء وبُعد نظر سياسي. وكان لأسلوبه في الحكم المتَّصف بالشدَّة الأثر الكبير في تنفير أكثر النجديين منه، وتهيئتهم للانضمام إلى من سيقف ضده.

*****

(١) العثيمين، **تاريخ المملكة..**، ج١، ص٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. ولمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٤٨، ٥٢.

(٣) إبراهيم بن عيسى، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، طبع ملحقًا بتاريخ ابن بشر، الطبعة المستعملة في هذا الكتاب، ص١٠٢.